

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى: وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) (سورة هود)

شرح الكلمات:

{وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي} بِمَعْنَى

{مَنْ لِّلَّهِ} أَيَّ عَذَابِهِ

{إِنْ طَرَدْتُهُمْ} أَيَّ لَا نَاصِرَ لِي

{أَفَلَا} فَهَلَا {تَذَكَّرُونَ} بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِي الدَّلَالِ تَتَعَطَّوْنَ

المعنى الاجمالي :

قوله تعالى : {وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ} أي من هو الذي
يرد عني عذاب الله ويمنعني منه إن أنا عصيته فطردت أي أقصيت
وأبعدت عباده المؤمنين عن سماع الهدى وتعلم الخير ولا علة لذلك إلا
لأنهم فقراء ضعفاء تزديدهم أعينكم المريضة التي لا تقدر على رؤية الحق
وأهله والداعين إليه. ثم قال لهم {أفلا تذكرون} أي تتفكرون فتعلمون
خطأكم وجهلكم فتنبهوا إلى رشدكم. وتوبوا إلى ربكم فتؤمنوا به
وبرسوله وتعبدوه وحده لا شريك له.

وهنا يوضح نوح عليه السلام أنه لا يقدر على مواجهة الله إن طرد
هؤلاء الضعاف؛ لأن أحداً لن ينصر نوحاً على الله عزَّ وَجَلَّ لحظة
الحساب، فهناك يوم لا ملك فيه لأحد إلا الله، ولا أحد يشفع إلا بإذنه

سبحانه، ولا أحد بقادر على أن ينصر أحداً على الله تعالى؛ لأنه القاهر فوق
كل خلقه، والنصر كما نعلم يكون بالغلبة، أما الشفاعة فهي بالخضوع،
والحق سبحانه لا يأذن لأحد أن يشفع في طرد مؤمن من حظيرة الإيمان.

وفي هذا القول تذكير من نوح عليه السلام لقومه؛ ولذلك قال الحق سبحانه:
{أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [هود: 30]

أي: يجب ألا تأخذكم الغفلة، وتُنسيكم ما يجب أن تتذكروه. وكما جاء الحق
سبحانه بالتذكُّر، وهو الأمر الذي بدوامه يبعد الإنسان الغفلة، جاء الحق
سبحانه أيضاً بالتفكُّر، وهو التأمل لاستنباط شيء جديد عن طريق إعمال
العقل بالتفكر، الذي يجعل الإنسان في تأمل يقوده إلى تقديس وتنزيه الخالق،
وبهذا يصل الإنسان إلى الحقائق التي تكشف له معالم الطريق. وجاء الحق
سبحانه أيضاً بالتدبر، أي: ألا يأخذ الإنسان الأمور بظواهرها، أو أن ينخدع
بتلك الظواهر، بل لا بد من البحث في حقائق الأشياء.

وابتدأ أيضاً بالنداء المقرب المؤلف (وَيَا قَوْمَ) إن كنتم تسترذلونهم
وتستحققونهم فهم عند الله أهل القرى فكيف أطردهم ومن ينصُرني أمام الله
لدفع انتقامه مني وقد طردت عباده المقربين، وكلمة (من) في النص تدل على
مجاہتته لله، ومدافعته لإرادته، ومن ينصُرني أمامه،

ثم تختم الآية بقوله: {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}، أفلا تفكرون وتندبرون لتعرفوا أن
طردهم ليس بصواب ولا حسن العاقبة، وأنهم إذا كانوا فقراء فأننا أيضاً فقير
إلى الله تعالى ولست أفاخر بمال.

والاستفهام انكاري والنصر اعانه المقاوم لصد او عدو وضمن معنى الانجاء
فعدي ب من اي من يخلصني اي ينجيني من الله اي من عقابه لان طردهم
اهانه تؤذيهم بلا موجب معتبر عند الله والله لا يجب اهانه اوليائه وفرع على
ذلك انكارا على قومه في اهماهم التذكر.

فالذي يؤدي المؤمنين خاصة والناس عامة بغير حق على خطر من غضب الله
وانتقامه، وما توعده به الظالمين في الدنيا ويوم القيامة، حتى ولو كان المؤذي
من أفاضل الناس وخيارهم؛ فقد ثبت في صحيح مسلم أن أبا سفيان مر -
في حال كفره - على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت
سيوف الله من عدو الله مأخذها. فقال

أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي
فأخبره، فقال : ((يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لكن كنت
أغضبتهم لقد أغضبت ربك)). فأتاهم أبو بكر فقال: يا
إخوتاه! أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي وثبت
في الصحيحين أن النبي قال لمعاذ وقد بعثه إلى اليمن:
((واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)).

وإذا كانت هذه حرمة دم المسلم فإن لعنه وهجره
وتفسيقه ورميه بالكفر بغير حق فهو قتلته، فقد ثبت في
الصحيحين عن النبي قال: ((ولعن المؤمن كقتله))،
أسباب النجاة من عذاب الله :

1- التوحيد. إن أمر التوحيد ليس أمراً ثانوياً حتى نؤجله أو نؤخره بل
هو الأساس

الذى يقوم عليه الدين كله

2- الصدق:

قال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين"

3- الخوف من الله جل وعلا

قال تعالى : "إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة
وأجر كبير"

4- كثرة الإستغفار

قال تعالى : "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون"

5- الاستقامة على الطاعة

قال تعالى: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي
كنتم توعدون.

6- البكاء من خشية الله "جل وعلا"

قال "صلى الله عليه وسلم": "عينان لا تمسهما النار أبدا :
عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله

الفوائد:

1- إن الناظر إلى أحوال الأمم السابقة واللاحقة ممن كفر بالله وعاند أوامره يجد هذه الحقيقة واضحة جلية ، فلم ينصرهم أحد من الله ومن عذابه ، فلم ينصر فرعون جنوده ولم ينصر قارون ماله وثروته ولم ينصر الوليد بن المغيرة أولاده وعشيرته وهكذا .

2- إن اهانة المؤمن ناتج في الغالب من الحسد والعداوة وينتج ايضا من الخقد والطمع عند اصحاب النفوس المريضة كما تنتج من الغضب وسوء الخلق والتكبر وحب الذات ولا شك بان اهانة المؤمن وإيذاؤه وإحتقاره محرم في الشريعة الإسلامية وإن الله اوجب لصاحب الإهانة المهلاك والعذاب الأليم.

3- إن كل من يعرف الربط الخاص الذي بين الخالق والمخلوق يعلم ان إيذاء العباد وإهانتهم يرجع إلى إهانة الله عز وجل وإيذاؤه وكفاه بذلك ذما.

4- ينبغي لأهل الإيمان أن يكونوا أنصاراً لله ، وأنصاراً للرسول ، وأنصاراً لدعاة الحق.

5- إن أذية المؤمنين والناس أجمعين بغير حق من أشد المظالم، وأعظم المآثم التي توعدها الله أهلها بالوعيد الأكيد، وتهددهم بالعذاب الشديد، في مثل قوله . سبحانه .: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا نَهْتِنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا [الأحزاب: 58].

6- من أعظم أذية المؤمنين والناس بغير حق قتلهم بغير حق، قال تعالى: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا [المائدة: 32]. وقال تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا [النساء: 93].

7- إن حقوق الخلق عند الله خطيرة شأفا عظيم وزرها، ومن خطرها أن الله سبحانه إن عفا عن عبده وغفر له ما يتعلق بحقه من الذنوب والآثام _ماعد الشرك_ فإن حقوق العباد لا عفو فيها ولا مغفرة إلا أن يعفو العباد أنفسهم أو يقتص لهم.

8- إحترام الفقير المسلم وإكرامه رضا الله عزوجل وعلى العكس من ذلك إحتقار المسلم لفقره فهو سبب لغضب الله وسخطه أعاذنا الله من ذلك.

9- قَالَ لُقْمَانُ : لَا يَهْوَنَنَّ عَلَيْكُمْ مَنْ قَبِحَ مَنْظَرُهُ ، وَرَثَ لِبَاسُهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ ، وَيُجَازِي بِالْأَعْمَالِ .

10- إذا غفل العبد عن نفسه أو عن ماله أو عن أهله كثر المعاتبون وبرز الناصحون،فقولوا لمثل هؤلاء إن المصيبة الأعظم والداھية الأظم أن يغفل العبد عن دينه أن يغفل عن الله أن يغفل عن اليوم الآخر فتلك والله المهلكة للفرد والأمة على السواء.

11- الذي يتأمل أحوال الناس في هذا الزمن يرى تطابق الآية تماماً مع واقع كثير منهم وذلك من خلال ما يرى من كثرة إعراضهم عن منهج الله وغفلتهم عن الآخرة وعن ما خلقوا من أجله، وكأنهم لم يخلقوا للعبادة، وإنما خلقوا للدنيا وشهواتها، فأنهم إن فكروا فللدنيا وإن أحبوا فللدنيا، وإن عملوا فللدنيا، فيها يتخاصمون ومن أجلها يتقاتلون وبسببها يتهاونون أو يتركون كثيراً من أوامر ربهم.

12- من أسباب الغفلة طول الأمل فطول الأمل من تزيين الشيطان وسلطانه على قلوب الغافلين؛ فلا آفة أعظم منه، بل لولاه ما وقع إهمال أصلاً، وإنما تفتت الهمم، ويسود العجز والكسل، ويقدم العبد على المعاصي، ويبادر إلى الشهوات، ويغفل عن الإنابة بسبب طول أمله؛ فما الذي منع العاصي من التوبة وجعله يسوف فيها إلا طول الأمل؟

13- أن الإنسان إذا تمادى في غفلته،أورثته هذه الغفلة حسرة وندامة لا انقطاع لهما لأنه لم يبق من غفلته إلا بعد فوات الأوان عندما يعاين السكرات،عندما ينام على فراش الموت،عند ذلك يتمنى أن لو مد الله في عمره ساعة ليستدرك ما فاتته ويصلح ما أفسده ولكن هيهات هيهات "حيل بينهم وبين ما يشتهون.." قال الله تعالى { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [المؤمنون: 99، 100] والله إنما حسرة وإنما لندامة ولا تنفع الحسرة والندامة يومئذ.

والله اعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وَيَا قَوْمٍ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (388)



هذا هو الحق

وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

فَوَافِي من تفسير سورة هود الآية 30

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز